تعليمية المسرح من خلال مسرحة النصوص المدرسية "منهاج التعليم الابتدائي نموذجا"

د/ منصور كريمة
كلية الآداب و الفنون
جامعة مستغانم -الجزائر

Depuis sa création, le théâtre a toujours exposé dans ses spectacles sur scène toutes les préoccupations et les problèmes des peuples de toute nation et race, le théâtre et un moyen d'expression intérieure du genre humain, ce qui fait de son lien solide et émotionnel quand il s'agit du son et silence, ombre sombre et lumière, mouvement et la sérénité.

Ce qui a créé un très fort lien entre le théâtre et l'éducation d'enseignement, si elle n'est pas encore une relation compromise, toujours est-il que l'évolution de la culture est censée à être sur la même longueur d'onde que l'éducation et la prospérité du théâtre comme a certifié l'un deux en disant : donnez moi un théâtre et du pain je vous donnerai un grand peuple **

يعد المسرح منذ نشأته مدرسة للأمم، حيث يعرض على خشبته قضايا الشعوب و دواخل النفس البشرية، يمتزج فيه الصوت بالصمت والظل بالنور والحركة بالسكون.

والعلاقة بين المسرح والتعليم علاقة وثيقة إن لم نقل طردية، فكلما ازدهرت الثقافة وتطور التعليم ازدهر المسرح إذ صدق القائل"أعطني مسرحا وخبزا أعطيك شعبا عظيما"، وعلى الرغم من اختلاف المفكرين في تحديد قائل العبارة لكنها بحق تعبر عن دور المسرح في تثقيف الشعوب .

وبالحديث عن العلاقة بين المسرح والتعليم نجد الرابط متجسد بصفة واضحة في تلك الطريقة الحديثة لإيصال المعلومات والمعارف إلى تلاميذ المراحل الابتدائية والمتوسطة وحتى الثانوية وهي طريقة مسرحة المناهج التعليمية التي أثبتت نجاعتها في الكثير من البلدان،فالتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يشهدها العالم اليوم والتي أدت إلى تغييرات في الأنظمة السياسية والثقافية والتعليمية، وتغيرات في أنماط المعيشة والعمل والعلاقات، انعكس ذلك على الأنظمة التعليمية وكفاءتها .

ونحن نعيش الألفية الثالثة وفي خضم هذه التحولات المتسارعة برزت الحاجة إلى تعدد طرق التدريس، وإلى إعادة النظر في تطوير الأنظمة التربوية والتعليمية، وفي محتوى المناهج الدراسية وأساليب التعليم والتعلم والتقويم التربوي واستراتيجيات التدريس وتطويرها بما يستجيب مع المتغيرات الجديدة ويؤهل لمواجهة التحديات المتواصلة في المجالات المختلفة.

وبحسب "جون ديوي[1]"فإن المدرسة يجب أن تعد الطفل للمجتمع المقبل لا للمجتمع الراهن، فلابد إذن من أن تغير المدرسة من أساليبها القديمة التي كانت تعتمد على الحفظ والتلقين وتعده لأن يشارك مشاركة فعالة في المجتمع الحديث .[2]

ولتحقيق هذه الغاية يجب العدول عن التعليم التقليدي إلى التعليم عن طريق النشاط والمشاركة الفعالة بين الطلبة، ومن أجل ذلك نادى "ديوي" بضرورة اعتماد المدرسة على نشاط التلاميذ وعلى اشتراكهم في العمل، وأن يتعلم الطفل المهارات والمعارف الأكاديمية عن طريق خبرات الحياة اليومية والممارسة[3]

تعتبر طريقة التدريس بالمسرح من طرق التدريس الحديثة والمتميزة كما أنها ذات دور فعال في إيصال المعلومات إلى التلاميذ "حيث يرى التربويون أن تحويل المناهج الدراسية من سياقها الجامد التقريري المباشر إلى بنية جمالية ناطقة متحركة في قالب مسرحي مشوق مع إعطاء الطلاب فرصة المشاركة والتواصل سيزيد من قدرتهم على التحصيل العلمي لهذه المواد الممسرحة .[4]"

ومن البديهي أن مشاهدة المسرحية المدرسية المعدة عن مادة علمية أو تاريخية أو أدبية سوف يحببها إلى قلوب التلاميذ نظراً لقدرتهمعلى تقبل ما يشاهدونه والاستمتاع به.

فما أهمية إدخال مسرحة المناهج على المقررات الدراسية بالنسبة للنص التعليمي وبالنسبة للمتعلم؟

هل البرنامج التعليمي المقرر على التلاميذ في المدرسة الجزائرية يهتم بمسرحة المناهج؟

ما السبيل إلى إدخال مسرحة المناهج على التعليم الابتدائي؟

لكن وقبل الولوج إلى الموضوع والإجابة عن الإشكاليات المطروحة، لابد من إيضاح بعض المفاهيم المتعلقة به والمستخدمة فيه منها المنهاج، المسرحة، مسرحة المناهج....الخ

داخل المدرسة أو خارجها لتنمية وإشباع حاجات ورغبات التلاميذ بهدف النمو الشامل لجميع نواحي حياتهم العقلية والنفسية والجسمية والاجتماعية والروحية ثم تقويمها لتحقيق الأهداف التربوية وبناء المجتمع السليم[5]"،وللمنهج التربوي خصائص ومميزات متعددة منها :

-أن يراعي واقع المجتمع وفلسفته وطبيعة المتعلم وخصائص نموه.

-أن يعكس التفاعل بين التلميذ والمعلم والبيئة المحلية وثقافة المجتمع.

-أن يتم تشكيل وصياغة الخبرات في حدود الإمكانيات المتاحة.

-ينوع المعلم في طرق التدريس التي يستخدمها، ويختار أكثرها ملاءمة، متعاونا مع تلاميذه في اختيار الأنشطة التعليمية المناسبة والتي تثير الحماس والإقبال على تعلم المادة الدراسية.

-يهتم المنهاج بتنمية شخصية التلميذ بجميع أبعادها لمواجهة التحديات التي تواجهه وتنمية قدراته المتنوعة، وتوظيف ما تعلمه في شؤونه الحياتية[6].

ويمكن تعريف المسرحة بحسب ما جاء في المعجم المسرحي بأنها" كل ما يحمل طابع الفرجة[7]"،إذن تتمثل مسرحة المناهج في"إحياء المادة العلمية وتجسيدها في صورة مسرحية تعتمد على شخصيات تنبض بالحياة والحركة لتخرج من جمود الحروف المكتوبة على صفحات الكتب[8]"

إن استخدام المسرح في التعليم له تأثير كبير وقدرة على جذب الانتباه مما يجعل التلميذ يركز على الأفكار التي تطرح من خلاله،وبعكس طريقة الحفظ والتلقين فان ما يتعلمه الطفل من العرض المسرحي له تأثير مقرون بالمتعة أثناء معايشة العرض أو تأديته، وبذلك ينتقل التلميذ من الاستظهار إلى المعايشة .

كما أن هذا التأثير يستمر لمدة طويلة وهذه الاستمرارية تمكنه من استيعاب أكبر قدر من المعلومات في الوقت نفسه،فمسرحة المناهج تعتمد على "وضع المادة التعليمية في إطار مسرحي يخرجها من الجمود إلى الحياة، وذلك بقيام الطلبة بتأدية أدوار مختلفة لشخصيات وأحداث ومواقف درامية متعددة[9]"

كما تعد مسرحة المناهج من أهم وأحدث الدراسات الأدبية والتربوية والتعليمية، فحواها"إعادة تقديم الموضوع التعليمي بشكل غير مباشر من خلال وضعه في خبرة حياتية، وصياغته في قالب مسرحي، لتقديمه إلى المتعلمين،داخل المؤسسات التعليمية، في إطار من عناصر الفن المسرحي، بهدف تحقيق المزيد من الفهم والتفسير[10]"

ويمكن تعريف التدريس الممسرح أيضا بأنه" منظومة تربوية هادفة ومتكاملة من العلاقات والتفاعلات ...تتضمن إعادة تنظيم المحتوى العلمي للمادة الدراسية، وتشكيلها في مواقف وأنشطة هادفة ممسرحة مع التركيز على العناصر والأفكار المهمة المراد توصيلها لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة معتمدة على عدة عناصر(المعلم والمتعلم والمادة التعليمية وبيئة التدريس (يشكل فيها النشاط اللغوي وسيلة الاتصال الأساسية من أجل تقديم الحقائق والمعارف والمفاهيم والاتجاهات والقيم والخبرات التعليمية للمتعلم داخل الفصل الدراسي لتحقيق النمو المتكامل[11]"

وكما سبقت الإشارة إليه فإن مسرحة المناهج تعد من أحدث الأساليب في إيصال المعلومة للتلاميذ، تستخدم المسرح وسيلة مساعدة في التعليم، تحول حجرة الدرس إلى قاعة مسرح،وتخرج بعملية التدريس من شكلها التقليدي المعتاد إلى صورة مشوقة ومسلية تكسر حدة الملل، تقدم المنهج الدراسي بطريقة جديدة عن طريق التمثيل الذي يهدف إلى إدخال الفكرة أو المعلومة إلى أذهان المتلقين، يصبح التلميذ فيها مؤديا ومتلقيا في الوقت نفسه، كما تصبح المادة العلمية قابلة للهضم والاستساغة .

لأن " درامية المناهج داخل الفصل الدراسي تنطلق من مبدأ أن الطالب هو محور العملية التعليمية، يكتسب فهمه لدروسه وتعليمه بالنشاط التمثيلي التلقائي وهو نشاط مخطط تخطيطا جيدا تحت إشراف معلميه، يتعايش فيه الطلاب بشكل ممتع ومشوق مستثمرين اللعب الإبداعي التلقائي في تحقيق العملية التعليمية. [12]"

ووفقاً لنظرية غاردنر[13]في الذكاءات المتعددة فتعد هذه الطريقة من أفضل استراتيجيات التدريس الموظفة في تنمية الذكاءات المتعددة لدى المتعلمين وقد عرف غاردنر الذكاء بأنه :

القدرة على حل المشكلات أو إضافة ناتج جديد يكون ذو قيمة في واحد أو أكثر من الإطارات الثقافية معتمداً في ذلك على متطلبات الثقافة التي نحيا في كنفها، وهذه النظرية تساعد المعلم على توسيع دائرة إستراتجياته التدريسية، ليصل

لأكبر عدد من الأطفال على اختلاف ذكاء اتهم وأنماط تعلمهم كما أنها تقترح حلولا يمكن للمعلمين أن يصمموا على ضوئها مناهج جديدة .

وهي تمدنا أيضا بإطار يمكن للمعلمين من خلاله أن يتناولوا أي محتوى تعليمي ويقدموه بعدة طرق[14]، ومن بين هذه الطرق مسرحة المناهج التي نحن بصدد الحديث عنها، التي تخرج بالمتعلم من دوره السلبي المتمثل في التلقي فقط إلى المشاركة الايجابية في عملية التعليم.قصد التخفيف من جفاف المادة العلمية، وتيسير الفهم على التلاميذ في تحصيل المادة، وتحقيق الهدف المرجو تربوياً بطريق آخر.

"ويحتل المسرح التعليمي حاليا موقعا مهما في الدول المتقدمة، حيث يتحول المسرح إلى وسيلة تعليمية تربوية، ومدخل للتدريس أكثر من غاية أدبية أو فنية، فليس الهدف من المسرح التعليمي تخريج ممثلين أو مخرجين محترفين، إنما الهدف هو توظيف التمثيل المسرحي في العملية التعليمية بهدف تنمية قدرات وإمكانات التلاميذ على نحو أفضل وإلى أقصى مدى[15]"، وهو معتمد بصفة رسمية في عدة بلدان من العالم وخاصة منها البلدان المتطورة، وفي الكثير من الدول العربية.

لكن الملاحظ أن المناهج الدراسية وطرقا لتدريس في المدرسة الجزائرية في معزل عن الواقع ولا تأخذ بالاعتبار متطلبات المستقبل وتحدياته والتي تتعلق بجعل التعليم واكتساب المعارف متعة، وإطلاق خيال التلاميذ، واستخدام عنصر التشويق أثناء عرض المادة التعليمية .

كما أن طريقة مسرحة المناهج لتوصيل المعلومة لمتلق الاهتمام الكافي من قبل المسؤولين عن هذا الميدان على الرغم من تبني الوزارة الوصية في السنوات الأخيرة سلسلة من الإصلاحات الهدف منها تحسين مستوى التعليم وتطوير الكفاءات.

لكن مسألة إدخال مسرحة المناهج لم تكن ضمن الأولويات ولا حتى ضمن الإصلاحات، ويمكن أن نلخص سيرورة المناهج في المدرسة الجزائرية منذ ما بعد الاستقلال إلى اليوم، إلى ثلاث مراحل أو مقاربات[16]

1- المقاربة التقليدية) المقاربة بالمضامين:

تقوم على نمط بيداغوجي تقليدي، حيث أن المدرس يشرح الدرس، ينظم المسار وينجز مذكرات،ويكون التلميذ متلقي، يستمع، يحفظ، ويعيد ما حفظه،أي أن وظيفة التلميذ تقتصر على:اكتساب المعرفة كما ونوعا واستحضارها في حالة المساءلة.

2- المقاربة بالأهداف) بيداغوجية الأهداف :

في هذه المقاربة يصبح المدرس مصدرا للتعليم من بين مصادر أخرى، يقوم بتشخيص الوضعيات والحاجات، كما تتغير وظيفة التلميذ من مستهلك إلى مساهم في العملية التعليمية، إلا أن التلاميذ يجدون أنفسهم في غالب الأحيان عاجزين عن تسخير هذه المكتسبات لحل مشكل معين.

3-المقاربة بالكفاءات:

هذه الإستراتيجية أكثر تطورا من سابقتيها لأنها تتضمن تنمية القدرات العقلية للتلاميذ من تحليل وتركيب وحل للمشكلات، أي أنها تسعى إلى اكتساب الكفاءات وليس على تراكم المعارف .

ومن خصائص التعليم بالكفاءات أو بالأحرى ما تطمح إلى تحقيقه:

-جعل التلميذ في مركز العملية التعليمية، بحيث يكون الفاعل الأساسي فيها، بأن يشارك فعليا في بناء معارفه العلمية.

-اعتماد المعلم على طرائق بيداغوجية وتعليمية تتمركز حول المتعلم أكثر من تمركزها حول المضامين.

-حمل المتعلمين على تنمية وتثبيت كفاءات تتيح لهم مواجهة الواقع بفعالية ونجاعة.

-ربط المحتويات المعرفية بالممارسة أي ربط التحصيل المعرفي بالحياة اليومية[17] .

وهذه الطريقة في التدريس أي طريقة المقاربة بالكفاءات هي أحدث ما عملت به المدرسة الجزائرية، ومن خلال ملاحظة خصائص هذه الطريقة أو غاياتها نجد أن تطبيق مسرحة المناهج يمكن أن تكون أقصر طريق لتحقيق تلك الغايات خاصة في مجال تعلم اللغات .

لأن "استخدام الدراما في الغرفة الصفية يعمل على تعزيز القدرات اللغوية لدى المتعلم، وتعميق إدراكه للغة الآخر وذلك من خلال الحوار الذي تقوم عليه، وتسهم أيضا في تطوير القدرات اللغوية في مجال الكتابة،عند إشراك المتعلم في الإعداد للمسرحية لما تتطلبه من صياغة، ووصف للشخصيات وللمكان والحدث[18]".

كما أن هذه الطريقة تجنب المعلم سلبيات الطرائق البيداغوجية التقليدية القائمة على التلقين والتوجيه، إذ يتحول المعلم في الفصل الدراسي إلى مخرج مسرحي من خلال توظيفه لخطاب تواصلي درامي،بينما يشكل التلاميذ الممثلين والمشاهدين على حد سواء، أما القسم ومصطبته فهما بمثابة الخشبة الركحية .

وإضافة إلى ما تمتاز به هذه الطريقة من إيصال المعلومات وترسيخها في ذهن المتلقي بطريقة مشوقة، تجعله أكثر قابلية للتعلم ،لها ايجابيات أخرى نذكر منها:

-تعلم التلميذ _من خلال العمل الجماعي_ قيما ايجابية كالتعاون والثقة بالنفس.

-تنمي الخيال وتحفز على الإبداع.

-تثري لغة الطفل وتعالج عيوب النطق.

-تنمي مهارة الاستماع والنقد والحوار.

ربما قد آن الأوان لتبني هذه الطريقة في إيصال المعلومة بالنسبة للمدرسة الجزائرية بعد أن أثبتت نجاعتها في دول أخرى، وحققت النتائج المطلوبة. خاصة مع الشكاوى التي تتعالى من لدن أولياء الأمور حول الصعوبات التي يواجهها أبناءهم لفهم الدروس، وأغلبهم يرجع ذلك إلى تلك الطرق التدريسية المتبعة حالياً في مدارسنا، ومن عدم قدرتها-إلى حدٍّ ما- على مواجهة هذا الإشكال.

وللتمكن من مسرحة درس من المنهاج المدرسي على المعلم أن يخطط جيدًا، وأن يحدد الأهداف الخاصة بالدرس حتى تتكون لديه صورة واضحة في ذهنه، وعليه أن يعرف أي درس يمكن مسرحته بشكل أكبر وما أهم المفاهيم التي ينوي توصيلها من خلال الدرس، ولكن قد تعترضه مشكلة عدم قدرته على مسرحة الدروس .

و هنا يجب التفكير في تزويد المدارس بالنصوص المسرحية للمواد الدراسية المختلفة، و يتطلب هذا الأمر تعاون المختصين في كتابة المناهج مع كُتَّاب المسرح و علماء النفس تحتإشراف وزارة التربية الوطنية لكي تتم مسرحة المواد التعليمية ،كما يمكن الاستعانة بخريجي معاهد الفنون الدرامية للاستفادة منهم في هذا المجال.

كما يمكن أيضا عقد دورات تدريبية للمعلمين هدفها مساعدتهم على تعلم كيفية تحويل المادة التعليمية إلى مشاهد حوارية.

أما بالنسبة لإشكالية طول المنهج الدراسي واستحالة إتمامه تبعا لطريقة مسرحة المناهج لأنها تتطلب وقتا أكبر، فينبغي على معدي البرامج التعليمية تحت إشراف وزارة التربية الوطنية أن يحاولوا حذف البعض من المقررات والمناهج الدراسية الزائدة وغير مهمة من دروس ووحدات التعليمية؛ لأن الكيف أهم منالكم من أجل تحقيق الجودة .

كما ينبغي الاستفادة من التجارب الدولية في هذا المجال لاكتساب الخبرات وتطويرها بما يتماشى وروح العصر، وتنويع مصادر وطرق اكتساب المعرفة.

المراجع و المصادر :

[1]. جون ديوي1859) John Dewey :، (1952مربي و فيلسوف و عالم نفس أمريكي، و زعيم من زعماءالفلسفة البراغماتية. اهتم في كتاباته بالتربية و طرق التدريس

2. ينظر:أحمد فؤاد الأهواني ، جون ديوي، دارالمعارف، القاهرة ، ط:3، 1987.ص: 45

3. ينظر :أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، ص: 46

4. فاطمة يوسف، مسرحةالمناهج، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، الطبعة 1، 2007، ص: 15 .

5. أكرم خطايبة، المناهجالمعاصرة في التربية الرياضية ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، الأردن،ط:01، 1997، ص: 34 .

6. ينظر: عزو اسماعيل عفانةو أحمد حسن اللوح، التدريس الممسرح: رؤية حديثة في التعلم الصفي، دار المسيرةللنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، الأردن، الطبعة:01، 2008،ص: 174،175

7. ماري الياس و حنان قصاب حسن، المعجم المسرحي: مفاهيم و مصطلحاتالمسرح و فنون العرض، مكتبة لبنان ناشرون، ط:1997،01، ص: 463

8فاطمة ،يوسف، مسرحة المناهج، مركز الإسكندريةللكتاب، الجمهورية المصرية، ط:01، 2007، ص: 15

9. محمد يوسف نصار،و معتصم ناصرصوالحة ، الدراما التعليمية نظرية و تطبيق ، أربد:المركز القومي للنشر ، ط1، 2000،ص: 12 [1]

10.كمال الدين حسين، المسرح التعليمي، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة، 2005، ص: 109

11. عزو اسماعيل عفانة و أحمد حسن اللوح، مرجعسابق، ص: 24 .

12. فاطمة يوسف، مرجع سابق، ص: 24

13. هوارد غاردنر: ولد في 1943، في أمريكا، أستاذبجامعة هارفرد الأمريكية، يعتبر الأب الروحي لنظرية الذكاءات المتعددة.توظف أفكارهكثيرا على مستوى المدارس التعليمية.

14. ينظر: هوارد غاردنر، أطر العقل: نظرية الذكاءات المتعددة، ترجمة :محمد بلال الجيوسي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 2004، ص: 50 و مابعدها.

15. أمير إبراهيم القرشي،المناهج و المدخل الدرامي، أميرة للطباعة ، القاهرة، ط: 01، 2001، ص: 35 .

16 . تطور سيرورة المناهج فيالجزائر، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية و تحسين مستواهم، وزارة التربيةالوطنية www.infpe.edu.dz .

17 . تطور سيرورة المناهجفي الجزائر، المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية و تحسين مستواهم، وزارة التربيةالوطنية www.infpe.edu.dz .

18. صلاح هيلات، أثر التمثيل الدرامي للمادةالتعليمية في تحصيل طلبة الصف الرابع في مبحث التربية الاجتماعية ، المجلةالأردنية في العلوم التربوية ، مجلة علمية محكمة تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا ، جامعة اليرموك، الأردن، مجلد2، عدد3،2006، ص :191.